حوار الدّعوة بين التأسيس والتجديد: قراءة في الوسائل المستخدمة في ذلك

مريم الدويهش*

The Dialogue of *Da'wah* between Tradition and Modernity: A Study About Its Sources

Mariam Al-Duwaihish*

Abstract

This article discusses the classical and modern sources of da'wah (preaching) such as dialogue, letters, and media vis-à-vis the related opinions of Muslim scholars. Dialogue is an important aspect of human life. Human beings have always used it in political, social and other relationships. It provides opportunities for solving problems amicably because it is easy to understand the views of the "other" through it. According to the teachings of the Qur'ān and the sunnah, dialogue plays an important role in inviting people to Islam. Its various styles have been mentioned in these primary sources. The Messenger of Allah (peace be on him) sent letters to various kings of his time and negotiated with foreign delegates. Since the world has become a global village in the present era and there has been tremendous progress in the modern means of communication, the use of modern means can play a fundamental role in preaching religion and people should be invited to religion by using these modern means. This article discusses the means of dialogue adopted in ancient and modern times. In the present era, the use of the Internet can prove to be a useful method of preaching Islam. Similarly, print and electronic media are also very important means of dialogue.

* باحثة دكتوراه بالمعهد العالي للحضارة الإسلاميّة، جامعة الزّيتونة- تونس.

* Ph.D researcher at the Higher Institute of Islamic Civilization, Zitouna University, Tunisia.

Keywords
dialogue, modern sources, Internet, da‘wah.

Summary of the Article

Dialogue in the Qur’ānic perspective is the basis that must permeate all relations because the holy Qur’ān wants demands a person to obtain self-conviction based on argument and proof within the framework of calm and deep dialogue. Dialogue with others is necessary to answer doubts about Islam so that the truth should prevail and the falsehood should be refuted. Islam prohibited the use of coercion and forced conversion of religion. Rather, it established the principle of freedom and choice.

Islam can only be spread by the strength of conviction, not by compulsion. Moreover, coercion inflicts human dignity and contradicts Islamic teachings. Compulsion distorts the nature of belief because belief is a “pure internal issue and that it must be a choice based on awareness and certainty. The letters that the Prophet (peace be upon him) sent to princes, kings, and leaders of his time are considered an important part of his biography because these letters reveal the universality of Islamic preaching. These letters are considered an important means of *da‘wah* and a reason for the good delivery of *da‘wah* as it enters the soul of the person who is called quietly and without restriction. The Prophet (peace be upon him) used this method extensively.

In modern times, some people necessitate stopping the preaching dialogue with others. The most prominent of their arguments are the following. First, dialogue may lead to confusion with the resultant unpleasant intellectual influence. Likewise, dialogue may lead to more intolerance and rigidity. Dialogue may lead to strife and clash and allow the polishing of false opinions. Dialogue may also lead to compromising on principles, manipulating them, and mixing them to reach middle positions for compromise, or to say the relativity of the truth.

However, we do not agree with these claims and opinions about Islamic promotion dialogue because advocacy dialogue is based on the Qur'ān, the Prophet's *sunnah*, and the practices of the Companions and those who followed them. This means that the *da'wah* must be launched according to the requirements of the times. The focus here is on the means used to communicate. The means evolve and change according to scientific and technical developments that take place at an amazing speed and require careful follow-up if *da'wah* is to affect people and be in line with their levels of thought dictated by their formative conditions in upbringing and education.

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

أمّا بعد؛ فقد كان الحوار الأساس المنهجيّ الذي قُعِّدت عليه دعوة الرسولﷺ؛ ممّا فتح مغالق القلوب، ومتّن سبل التّواصل مع الآخر المخالف في العقيدة. ولا بدّ للدّاعية في هذا الزّمان أن يتأسّى بهدي الرسول ﷺ في تعامله مع غير المسلمين، ويحاول أن يجعل مجال الدّعوة واسعا باعتبار عالميّة الرّسالة.

ومن المعلوم أنّ نجاح الدّعوة منوط بالوسيلة المؤدّية إلى تحقيقه. ومن هنا تمخّضت مشكلة البحث، وهي: هل الحوار الدّعوي يقتضي التّمسّك بالوسائل النّبويّة المستخدمة في ذلك وعدم تجاوزها أم أنّ الوسائل متجدّدة تستجيب لمتطلّبات الواقع والثّابت وحده هو الغايات والأهداف من الدّعوة؟ ولهذا اخترت عنوان بحثي "حوار الدّعوة بين التّأسيس والتّجديد: قراءة في الوسائل المستخدمة في ذلك". ويكتسي هذا البحث مباحث هامّة في مجال الدّراسات الإسلاميّة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، يبرز ذلك من خلال الأهداف التي يسعى لتحقيقها:

أوّلا: ضرورة إدراك أهمّية الحوار، ودوره في التّفاعل والدّعوة إلى الله.

ثانيا: مدى حاجتنا إلى تحديد علاقتنا بالآخر.

ثالثا: مدى احتياجنا لسنّة النّبيّ ﷺ وسيرته في هذا الموضوع، وحاجة الأمّة إلى حلّ مشكلاتها وفقا لسنّة نبيّها ﷺ.

رابعا: مدى احتياج الأمّة في هذه الآونة للدّفاع عن الإسلام ونبيّنا ﷺ عن طريق نشر التعاليم الصّحيحة، وحجب المزيّف والمغلوط.

خامسا: مدى حاجة الأمّة إلى دعوة غير المسلمين إلى الدّخول في الإسلام بإبراز أخلاقيات الإسلام بشأن تحديد علاقة المسلم بغير المسلم.

سادسا: ضرورة الموازنة بين جانبي: الأصالة والمعاصرة في حوار الدّعوة.

سابعا: ضرورة الإفادة من معطيات العصر الحاضر، وتقنياته، واتّصالاته، ونتاجه المتعدّد في الوسائل والآلات والأدوات واستغلال ذلك في الدّعوة إلى الله؛ فالحكمة تقتضي من الدّاعي أن يستفيد من كلّ الوسائل التي تخدمه في دعوته وتوصله إلى المدعوّ.

ثامنا: ضرورة فهم واستيعاب أنّ وسائل الدّعوة الإسلاميّة ليست ثابتة، وأنّ الإسلام لم يجعلها أمرا محدّدا لا يمكن تجاوزه.

وقد قسّمت المادّة العلميّة لهذا الموضوع إلى: مقدّمة ثمّ مدخل إطاريّ، ومبحثين وخاتمة. أمّا المبحث الأوّل فعنونته بعنوان: الأصول النّبويّة التّأسيسيّة لحوار الدّعوة، وكان المبحث الثّاني تحت عنوان حوار الدّعوة والواقع المتجدّد؛ وقد فرّعت كلّ مبحث إلى مطالب تعالج الموضوع وفق رؤية مقاصديّة معاصرة.

حوار الدّعوة: رؤية إطاريّة

عالميّة الدّعوة: أدلّتها ومظاهرها

إنّ عالميّة الإسلام تنبع من منطلق رئيس هامّ، وهو كونه آخر الأديان، وقد جاء ليكمّل الرسالات السماويّة السّابقة ويختمها، والإيمان بجميع الرّسل من صلب العقيدة الإسلاميّة. وبهذه الصّورة أقامت رسالة محمد ﷺ مفهوم العالميّة فيها على أنّ الدّين واحد من الأزل إلى الأبد، وأنّ الأنبياء إخوة في التّعريف بالله والدّلالة عليه واقتياد البشريّة إليه، والقرآن الكريم قد جمع في سياقه كلّ ما تناثر على ألسنة الأنبياء من عقائد وفضائل؛ ولذلك كان ختم الكتب ومهيمنا عليها. وعالميّة الرّسالة تمّ التّصريح بها في أوائل ما نزل من الوحي[١]؛ ومن ذلك ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[٢]، أي: وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكّة، وأنذر به كلّ من بلغه من العرب والعجم إلى يوم القيامة.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٣]، أي إنّي رسول من عند الله إلى جميع أهل الأرض.

وقال جلّ جلاله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٤]، أي: وما أرسلناك يا محمد إلا رحمة للخلق أجمعين.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

١- انظر: عبد الوهّاب عبد السلام طويلة ومحمد أمين شاكر حلواني، **عالميّة الإسلام ورسائل النّبيّ إلى الملوك والأمراء** (دمشق: دار القلم) د.ط، د.ت؛ ص ٤٣ – ٤٥.

٢- سورة الأنعام، الآية: ٢٠.

٣- سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

٤- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٦.

يَعۡلَمُونَ ﴾[٥]، أي: وما أرسلناك يا محمد للعرب خاصّة، ولكن لعموم الخلق مبشّرا للمؤمنين ومنذرا للكافرين؛ غير أنّ الكافرين لا يعلمون ذلك، فيحملهم جهلهم على ما هم فيه من الضّلال.

وقال جلّ شأنه: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٦]، أي ما هذا الذي يتلوه محمد ﷺ إلا قرآن واضح، لينذر به كلّ حيّ على وجه الأرض؛ وإنّما ينتفع بنذارته من هو حيّ القلب مستنير البصيرة، ويحقّ العذاب على الكافرين لأنّ الحجّة قامت عليهم به.

وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٧]، وقد قال سيد قطب في تفسير هذه الآية: "وهذا النّص مكّي، وله دلالته على إثبات عالميّة هذه الرّسالة منذ أيامها الأولى؛ لا كما يدّعي بعض المؤرّخين غير المسلمين أنّ الدّعوة الإسلاميّة نشأت محليّة، ثمّ طمحت بعد اتّساع رقعة الفتوح أن تكون عالميّة؛ فهي منذ نشأتها رسالة للعالمين طبيعتها طبيعة عالميّة شاملة، ووسائلها وسائل إنسانيّة كاملة"[٨].

وتتجلّى خصيصة العالميّة في منهج الدّعوة بوضوح من خلال العناصر الثّلاثة الرئيسة التّالية[٩]:

٥- سورة سبأ، الآية: ٢٨.

٦- سورة يسن، الآية: ٦٨ – ٦٩.

٧- سورة الفرقان، الآية: ١.

٨- سيد قطب، **في ظلال القرآن** (بيروت: دار الشّروق، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ط٨، ج٥، ص٢٥٤٨.

٩- عبد الرّحيم محمد المغذوي، **الأسس العلميّة لمنهج الدّعوة الإسلاميّة: دراسة تأصيليّة على ضوء الواقع المعاصر** (دار الحضارة للنّشر والتّوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النّشر، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م) ط٢، ص٢٩٠ (بتصرّف).

ما يتعلّق بمضامين منهج الدّعوة المتعدّدة من عقيدة، وشريعة، وأخلاق، وآداب، ومسالك تحمل صبغة العالميّة، وعدم محدوديتها بأشخاص أو شعوب أو أزمان معيّنة؛ كما هو موجود لدى بعض الدّيانات والشّرائع الأخرى.

ما يتعلّق بأصناف الخلق والعالم أجمع الذين يتوجّه لهم منهج الدّعوة بالخطاب، والبلاغ دون تمييز أو تفريق بين جنس وآخر إلا بالتّقوى.

ما يتعلّق بأساليب ووسائل منهج الدّعوة، وطرق إيصاله، وقواعده العظيمة التي تحمل صفة العالميّة وتتّجه إلى النّاس كافّة، وعدم حصرها بأساليب ووسائل محدودة.

والمتأمّل في منهج الدّعوة الإسلاميّة يجد أنّه متضمّن لكلّ مقوّمات العالميّة، والتي لا يحدّها حدّ سواء تعلّقت بالكتاب، والسّنّة، أو ببشارات الكتب السّابقة، أو من حيث المرسل والرّسالة، أو من حيث جانب المكان والزّمان، أو من حيث مخاطبتها لجميع البشر وللعقل والفكر الإنساني عامّة في أيّ زمان ومكان[١٠].

وإنّنا نلحظ خصيصة العالميّة في منهج الدّعوة من خلال سيرة النّبيّ ﷺ الذي باشر عمليًّا تنفيذ عالميّة الدّعوة يوم أن سنحت له الفرصة بعد صلح الحديبيّة؛ حيث أرسل إلى الملوك والأمراء في كلّ الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ويحمّلهم إثم أتباعهم إن لم يبلّغوهم[١١]؛ وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

الحوار: واجب شرعيّ وتكليف دينيّ

إنّ الحوار في المنظور القرآني هو الأصل الذي يجب أن يتخلّل كلّ العلاقات، لأنّ القرآن الكريم يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذّاتيّة المرتكزة على الحجّة والبرهان في إطار الحوار

١٠- انظر: حسن محمد أمين، **عالميّة الدّعوة الإسلاميّة**؛ ص ٧١٩ نقلا عن: المغذوي، م.ن؛ ص ٢٩٢.

١١- انظر: أحمد غلوش، **الدّعوة الإسلاميّة: أصولها ووسائلها** (القاهرة: دار الكتاب المصري،١٩٨٧م) ص ٢٢٢.

الهادئ العميق، ويجعل من ذلك الحوار بديلا للمقارعة بالحديد والنّار، تلك المقارعة التي تسحق فيها الطاقات وتهدر الإمكانات(١٢).

وتتحقّق من وراء الحوار غايات عظيمة القدر، جليلة النّفع؛ من أبرزها:

أولاً: إقامة الحجّة ودفع الفاسد من القول والرأي، فهو تعاون بين أطرافه على معرفة الحقيقة والتّوصّل إليها، ليكشف كلّ طرف ما خفي على صاحبه منها، ويسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحقّ. ولهذا قال الإمام القرطبي: "لا يظهر الفرق بين الحقّ والباطل إلا بظهور حجّة الحقّ ودحض حجّة الباطل"(١٣).

ثانياً: الحوار مع الآخر ضروري للردّ على شبهاته الطّاعنة في الإسلام، فيظهر الحقّ ويدحض الباطل. وقد ذكر ابن تيميّة أنّ كثيرا من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام، ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها.

ثالثاً: تنويع الرؤى وتوسيع الأفق لتعزيز مفهوم التّسامح، واحترام التّنوّع والتّعاون، وزيادة تبادل المعرفة حول مختلف مجالات الأنشطة البشريّة؛ لأنّنا نعيش في عالم واحد لكنّه يشتمل على عشرة آلاف ثقافة أو تزيد. وهذا يستلزم إقامة حوار بين هذه الثّقافات يكون قادرا على رسم مستقبل تخرج فيه البشريّة من عنف الهيمنة إلى عنفوان التّعايش السّلمي الذي بدونه تدقّ ساعة أفول الحضارات الإنسانيّة المتعدّدة(١٤).

رابعاً: وهو أفضل وسيلة للتصدّي لمواجهة العولمة الرّامية لإحلال ثقافة واحدة على حساب مختلف

١٢- انظر: فضل الله محمد حسين، **الحوار في القرآن** (بيروت: الهيئة الجامعيّة للدّراسات والنّشر، ١٩٨٥م) ص ٣١.

١٣- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (القاهرة : دار الشّعب) د.ط، د.ت؛ ج٣، ص٢٨٦.

١٤- انظر: جيدل عمّار؛ **حوار الحضارات ومؤهّلات الإسلام في التّأسيس للتّواصل الإنساني** (الأردن: دار الحامد، ٢٠٠٣م) ص ٣٣-٤٨.

الثقافات.

خامساً: لا يستطيع الإنسان أن يعيش بمعزل عن الآخر، بل لا بدّ من آلية تواصل وحوار معه للاستفادة من خبراته وتطوير الذّات وتوسيع الآفاق؛ وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[١٥].

حوار الدّعوة: المدلول والأهميّة

وهو أهمّ أنواع الحوار وأعظمها، حيث عمد أنبياء الله وورثتهم من العلماء والدّعاة إلى حوار الكافرين بغية تعريفهم بدين الله وإنقاذهم به. فالحوار الدّعوي أحد أعظم وسائل الدّعوة إلى الإسلام؛ حيث يعمد المحاور المؤمن إلى تبيان مبادئ الإسلام وفضائله، ويوضّح لمحاوريه ما أعدّه الله للمؤمنين به من عظيم الأجر وحسن المثوبة، وما توعّد به الكافرين من أليم عذابه وعقابه.

ولمّا كان لا يتصوّر رجوع النّاس عن معتقداتهم وإلفهم لمجرّد عظة سمعوها، إذ تثور في الأذهان تساؤلات تبحث عمّن يجيب عليها ويجلّي الحقّ فيها، كان لا بدّ من الحوار.

لذا تتركّز موضوعات حوار الدّعوة حول التّعريف بالله تبارك وتعالى، وصفاته، وبالإيمان ونواقضه، وباليوم الآخر، وسبيل النّجاة والخلاص فيه.

ويمتاز حوار الدّعوة عن غيره من أنواع الحوار بخصائص وسمات، منها:

١- الهدف منه الدّعوة إلى الإسلام، والسّعي إلى إقناع الآخرين بأنّ الإسلام هو دين الله الذي لا يقبل الله من العباد غيره.

٢- التّركيز في مجادلة أهل الكتاب على القضايا العقديّة الفاصلة، ومحاجتهم، ومناظرتهم لدحض شبهاتهم ونقض حججهم بأسلوب علميّ رفيق ثمّ مباهلتهم إن لزم الأمر.

١٥- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٣- أخذ المسلمين بزمام المبادرة في هذا اللون من الحوار، إذ هو استجابة لطبيعة دينهم. ويتحقّق ذلك باستضافتهم في دار المسلمين، واستقبال وفودهم، والكتابة إليهم، وغشيانهم في محافلهم وبيوتهم لدعوتهم؛ إذ الدّعوة والبلاغ واجب المسلم بمقتضى إسلامه.

٤- تغلب الصّفة والعلاقات الشخصيّة على هذا اللّون من ألوان الحوار، الذي يبتعد عن الصّفة الرسميّة التي تغلب على حوار التّعامل والتّعايش[١٦].

وبالنّظر إلى آثار الحوار ونجاعة طريقته في نشر الحقّ، يجزم ابن حزم بفضل هذا الأسلوب من أساليب الدّعوة ويراه أنجع من غيره من وسائل حماية الدّعوة كالجهاد في سبيل الله، إذ "قد تُهزم العساكر الكبار، والحجّة الصحيحة لا تُغلب أبدا فهي أدعى إلى الحقّ وأنصر للدّين من السّلاح الشّاكي والأعداد الجمّة... لأنّ السّيف مرّة لنا ومرّة علينا؛ وليس كذلك البرهان بل هو لنا أبدا، ودامغ لقول مخالفينا ومزهق له أبدا. ورُبّ قوّة باليد قد دمغت بالباطل حقّا كثيرا فأزهقته... وقد قتل أنبياء كثير وما غُلبت حجّتهم قطّ".

ويرى ابن تيميّة بوجوب هذ الصنف من الحوار: "فكلّ من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقّه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النّفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"[١٧].

كما يدعو ابن القيّم إلى محاورة أهل الكتاب: "جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجّة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجّة فليولّ ذلك إلى أهله وليخلّ بين المطيّ

١٦- انظر: منقذ بن محمود السقار، **الحوار مع أتباع الأديان: مشروعيته وآدابه** (رابطة العالم الإسلامي) د.ط، د.ت؛ ص٢٥- ٣١.

١٧- ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** (طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، ١٤١٦هـ) ج٢٠، ص١٦٤- ١٦٥.

وحاديها والقوس وباريها"[١٨].

ومن المعلوم "أنّ الدّعوة الإسلاميّة واجبة، وأنّها تبليغ رسالة النّبيّ ﷺ وأنّها فرض على الكافّة، فرض كفاية على الجماعة الإسلاميّة كلّها؛ بحيث يجب على الأمّة الإسلاميّة مجتمعة أن تهيّئ جماعة من بينها تكون عندها القدرة على الدّعوة الإسلاميّة ولها مؤهّلات علميّة؛ بحيث تكون على علم كامل بالإسلام في كلياته، ولها علم بالبيان وقدرة عليه، ولها علم بالنّفوس الجماعيّة والأحاديّة، ولها قدرة جسميّة وعقليّة ودربة على الاتّصال بالجماعات، والمشاركة الوجدانيّة بهم والتغلغل في نفوسهم، وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[١٩]"[٢٠].

نلحظ إذن أنّ حوار الدّعوة واجب ديني تتابعت النّصوص على الدّعوة إليه، وهو مطلب أخلاقيّ يفرضه علينا رحمتنا بالآخرين وحرصنا على هدايتهم واستنقاذهم من أوضار الكفر والعقاب الأخروي.

المبحث الأوّل: الأصول النّبويّة التّأسيسيّة لحوار الدّعوة

المطلب الأوّل: حقيقة الإسلام عند غير المسلمين

يتّهم أكثر المستشرقين والمفكّرين الغربيين تعاليم الإسلام في علاقتها بغير المسلمين بالتّعصّب الأعمى الذي لا يعرف تسامحا، وبالصّدام والصّراع الذي لا يعرف حوارا، ولا تعايشا

١٨- منقذ بن محمود السقار، **الحوار مع أتباع الأديان: مشروعيته وآدابه**، ص٢٨.

١٩- سورة النّحل، الآية: ١٢٥.

٢٠- محمد أبو زهرة، **الدّعوة إلى الإسلام: تاريخها في عهد النّبيّ والصّحابة والتّابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩١م) ص ٨٢.

سلميًّا. فتعاليم الإسلام في زعمهم تأمر المؤمنين بشنّ الحروب ضدّ الآخر، من أجل إكراهه على اعتناق الإسلام أو السّيطرة عليه وإخضاعه لحكم الإسلام.

يقول جون هيجل: "كان الإسلام دائماً وسيبقى دائماً دين السيف؛ لأنه لا يمكن العثور على أي فكرة للحب في القرآن"(٢١).

ويقول غيوم انلوسيتر: "إنّ هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوّة، وقالوا للنّاس أسلموا أو موتوا"(٢٢).

ويقول المنسنيور كولي: "لقد وضع محمد السّيف في أيدي الذين اتّبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب؛ ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع باللّذات. وبعد قليل أصبحت آسية الصغرى وإفريقية فريسة له"(٢٣).

ويُرجع كل من مور وغيتاني: "ازدياد عدد المسلمين إلى الانتصارات العسكريّة، وإكراه النّاس على الدّعوة الموجودة في تعاليم الإسلام"(٢٤).

ويقول صموئيل هينتجتون، صاحب نظريّة **صدام الحضارات**: "هناك محاجّة أنّ الإسلام كان دينا للسّيف منذ البداية، وأنّه يمجّد فضائله القتاليّة. الإسلام نشأ بين قبائل بدويّة رحّل متناحرة، هذه النّشأة العنيفة مطبوعة في أساس الإسلام... تعاليم الإسلام تنادي بقتال غير المؤمنين به، والقرآن وغيره من الإفادات في المعتقدات الإسلاميّة يحوي القليل ممّا يحضّ على تحريم العنف؛

٢١- من مقال للكاتب بول هارفي في صحيفة (the daigy advertiser)؛ عدد الخميس ١٥ يناير سنة١٩٨١م.

٢٢- أبو خليل شوفي، **الإسلام في قفص الاتّهام** (دمشق: دار الفكر، ١٩٧٧م) ط ٣، ص ٨٦ .

٢٣- منسنيور كولي، **البحث عن الدّين الحقيقي**، الصّادر عن اتّحاد مؤسّسات التّعليم المسيحي (باريز، ١٩٢٨م).

٢٤- آرنولد سير توماس، **الدّعوة إلى الإسلام** (مكتبة الأنجلو المصريّة؛ ١٩٥٧م) ط ٢، ص٤٦٩.

كما أنّ مفهوم اللاعنف غائب عن الفكر والممارسة الإسلاميين"[٢٥]. كما أنّه وصف الإسلام بأنّه عقيدة استبداديّة، وإنّما انتشر منذ البداية بسيف الفتح.

المطلب الثّاني: الرسول ﷺ وتأسيس مبدأ الحوار مع الآخر

إنّ هذه الاتّهامات القاصرة، التي تملّصت من أساسيات البحث العلميّ، سرعان ما تتهاوى أمام حقائق الدّين الإسلامي الذي قُعِّد على مبدأ الحوار مع الآخر، والاعتراف به، واحترام خصوصياته الدّينيّة من دون إكراه أو فرض أو إرغام. ونتبيّن ذلك من وجهين:

أولاً: قراءة في الوسائل

لقد كانت سيرته ﷺ ترجمانا للقرآن وبيانا له، فامتثل أمر ربّه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[٢٦]. وقد كان أهل الكتاب في تخوم الجزيرة العربيّة، وفي يثرب ونجران، وأفراد قلائل في مكّة، فدعاهم جميعا ﷺ إلى دين الله، خاصّة في العهد المدني وهو العهد الذي برزت فيه سطوة الدّولة الإسلاميّة وازدادت شوكة المسلمين.

وقد اتّخذ قائد البشريّة عدّة وسائل سلميّة لدعوتهم، لا مجال لاستخدام القوّة والإجبار فيها؛ نذكر منها:

أولاً: غشيانهم في محافلهم ومجتمعاتهم وبيوتهم ومبادأتهم بالدّعوة الصّريحة إلى الإسلام، وعدم الاشتغال بشيء سوى ذلك، بل وتكرار الدّعوة دون خلطها بدعوة سواها. ومثاله:

٢٥- هينتجتون صموئيل، **صدام الحضارات... إعادة صنع النّظام العالمي الجديد**؛ ترجمة: طلعت الشّايب، تقديم: صلاح قنصوة (القاهرة: شركة سطور، ١٩٩٨م) ص ٤٢٦ – ٤٢٧.

٢٦- سورة النّحل، الآية: ١٢٥.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بينما نحن في المسجد، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتّى جئنا بيت المدارس فقام النّبيّ ﷺ فناداهم: يا معشر يهود أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلّغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريد. ثمّ قالها الثّانية، فقالوا: قد بلّغت يا أبا القاسم؛ ثمّ قال الثّالثة، فقال: اعلموا أنّ الأرض لله ورسوله، وإنّي أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أنّ الأرض لله ورسوله"(٢٧).

ثانياً: دعاؤهم إلى دار الإسلام: أي دعوة أهل الكتاب إلى مجلسه لعرض الإسلام عليهم إذا طمع في ذلك، وتجدّدت أسباب توجب ذلك كإسلام بعض عظمائهم؛ ولا بأس باستعمال الحيلة وسيلة لإلزام المدعو بالحقّ، وحمله على القبول فيؤمن، أو النكوص فيفتضح أمره، وذلك بعد دعوتهم دعوة صريحة إلى الإسلام. ومثاله ما نقله الحافظ ابن حجر عن ابن سعد أنّه روى من طريق سعيد بن جبير قال: "جاء ميمون بن يامين، وكان رئيس اليهود إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، ابعث إليهم فاجعلني حكما، فإنّهم يرجعون إليّ، ثمّ أرسل إليهم فأتوه فخاطبوه فقال: اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم. قالوا: قد رضينا ميمون بن يامين. فقال: اخرج إليهم فأبوا أن

٢٧- محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجزية والموادعة، رقم الحديث، ٥٨، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، وقال عمر عن النّبيّ ﷺ: «أقِرُّكم ما أقرَّكم الله» رقم الحديث ٣١٦٧ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م) ص ٧٨٢ ومسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**؛ تحقيق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٢هـ -١٩٩١م) كتاب الجهاد والسّير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، رقم الحديث ١٧٦٥، ج٣، ص١٣٨٧. ومدارس اليهود: كنيستهم... والإضافة في بيت المدارس إضافة العام للخاص، وفسّروه بموضع قراءة التّوراة.

يصدّقوه"[٢٨].

ثالثاً: الكتابة إلى ملوكهم: وقد حكى أهل السّير كتبا كثيرة بعث بها رسول الله ﷺ إلى ملوك النّصارى وعظمائهم، وهم: هرقل، قيصر الرّوم وعظيمها؛ النّجاشي ملك الحبشة، وهو الذي وليهم بعد أصحمة رضي الله عنه سنة تسع؛ المقوقس، عظيم القبط ملك مصر؛ الحارث بن أبي شمر الغساني، ملك غسان؛ وغيرهم.

رابعاً: استقبال وفودهم.

خامساً: دعوتهم حال الغزو والجهاد.

إنّ هذه الوسائل المستخدمة في الدّعوة إلى الله لتؤكّد بوضوح أن الرسول ﷺ كان يتّبع سياسة الإقناع والحوار الرصين، الذي يحرّر العقول من أوضار الشّرك؛ فالحجّة في الإسلام لها وزن كبير، وهي وحدها القادرة على تغيير الموازين. وأمّا القوّة المتمثّلة في استخدام السّيف، فهي لا تحرّر إلا الأرواح المصرّة على الخطأ من الأجساد؛ ولذلك سلك الرسول ﷺ السبيل الأقوم والطّريق الأنجع في إيصال الإسلام إلى النّفوس.

ثانياً: قراءة في المآل من خلال القاعدة التّأسيسيّة: لا إكراه في الدّين

لقد ألغى الإسلام من بنيته الداخليّة أيّ تصوّر يقوم على الإكراه، وفرض السّيطرة على الآخر، وإجباره على ترك ديانته؛ وإنّما أسّس لمبدأ الحريّة والاختيار. فالإسلام لا يكون إلا بقوّة الاقتناع، لا بجبر الاختيار.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي لا تكرهوا أحدا على الدّخول في دين الإسلام، فإنّه بيّن واضح جليّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكرَه أحد على الدّخول فيه؛ بل من هداه الله

٢٨- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** (بيروت: دار المعرفة) ط٢، ج٧، ص٢١٣ – ٢١٤.

للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه على بيّنة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنّه لا يفيده الدّخول في الدّين مكرها مقسورا"[٢٩].

ويقول ابن قدامة مبيّنا حكم من أكره على الإسلام: "وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمّي، والمستأمن فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتّى يوجد منه ما يدلّ على إسلامه طوعا"[٣٠].

يقول سيّد قطب مبيّنا سماحة الإسلام وعدم الإكراه فيه: "والإسلام هو أرقى تصوّر للوجود والحياة وأقوم منهج للمجتمع الإسلامي بلا مراء؛ هو الذي ينادي بأنّه لا إكراه في الدّين، وهو الذي بيّن لأصحابه قبل سواهم أنّهم ممنوعون من إكراه النّاس على هذا الدّين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضيّة القاصرة المتعسّفة وهي تفرض فرضا بسلطان الدّولة ولا يسمح لمن خالفها بالحياة؟"[٣١].

والإسلام يمنع الإكراه في الدّين للأسباب الآتية[٣٢]:

أوّلها: أنّ الإكراه يُهين كرامة الإنسان، وهو ما يتنافى مع التّصوّر الإسلاميّ الذي يؤسّس لمعنى التّكريم والتّفضيل الإلهي للنّوع البشريّ في ذاته وجوهره؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ

٢٩- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**؛ وضع حواشيه وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدّين؛ منشورات محمد علي بيضون (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ج١، ص٥٢١.

٣٠- ابن قدامة، **المغني**؛ تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي وعبد الفتّاح الحلو (القاهرة: هجر للطّباعة والنّشر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ج١٢، ص٢٩١.

٣١- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٢٩١.

٣٢- شيخو فطمير، **حوار الأديان بين القرآن والتّطبيقات المعاصرة**، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، ماليزيا، مجلّة الإسلام في آسيا؛ المجلّد ٥، العدد ١، يوليو ٢٠٠٨م؛ ص ٧٩ - ٨١.

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٣٣]، وغيره من النّصوص.

وثانيها: أنّ الإكراه يشوّه طبيعة الإيمان أو الاعتقاد، لأنّ الإيمان "قضيّة باطنيّة (داخليّة) خالصة، وأنّه لا بدّ أن يكون عن اختيار مبنيّ على الإدراك واليقين، وأنّ الإكراه عليه لا يؤدّي إلا إلى سوءتين كلتاهما عار وشنار لا تليق بالإنسان الذي كرّمه الله تعالى، وجعله أهلا للخلافة في الأرض، وحمّله أمانة السّماء؛ وهاتان السوءتان هما: إمّا التّظاهر الكذوب بالإيمان نفاقا وخوف المحنة ممّا يسوق لزاما إلى ألوان من (التقيّة والخداع) وذلك بإظهار الإنسان خلاف ما يعتقده داخليّا قناعة ويقينا، مخافة الرّدع والقهر؛ أو تحيّن الفرصة المواتية للارتداد الكامل عمّا أجبر عليه إكراها وجبرا"[٣٤].

وآخرها: أنّ الإكراه يقصي من دائرته فكرة حريّة الاختيار، وقد خلق الله الإنسان بعقل سليم حتّى يمكّنه من التّفريق بين الخير والشّر؛ وقد جعل الإسلام قضيّة الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الدّاخلي. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾[٣٦]، أي بقاهر لهم على الإيمان، ويقول سبحانه أيضا: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ

٣٣- سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

٣٤- عرفان عبد الحميد فتّاح، **دراسات إسلاميّة** (كوالا لمبور: دار التّجديد،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ص٢١٥.

٣٥- سورة يونس، الآية: ٩٩.

٣٦- سورة ق، الآية: ٤٥.

فَلْيَكْفُرْ ﴾[٣٧]. وقد لفت القرآن نظر النّبيّ ﷺ إلى هذه الحقيقة، وبيّن له أنّ عليه تبليغ الدّعوة فقط وأنّه لا سلطان له على تحويل النّاس إلى الإسلام، فقال: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٣٨]، وقال: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[٣٩]، وقال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[٤٠].

ومن هنا، نستشف أنّ دستور المسلمين يرفض رفضا قاطعا إكراه أحد على اعتناق الإسلام بأيّ وسيلة: سواء عن طريق الإلحاح أو القوّة ورفع السّيف.

وعبر تاريخ دولة الإسلام كان يعيش في داخلها غير المسلمين في مراحل قوّتها وضعفها، فلم يُجْبروا على ترك معتقداتهم أو يُكرهوا على الدّخول في الإسلام، والقاعدة العظمى في الإسلام أن لا إكراه في الدّين، ولذا فقد عاش الذّميون وغيرهم في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم وديانتهم[٤١]. ومن هنا، نستشفّ أنّ فشل حوار الدّعوة لا يعني إقصاء الطّرف الآخر، بل لا بدّ من احترام خصوصياته الدينيّة ومحاولة التّعايش السّلمي معه.

المطلب الثّالث: الرّسائل النّبوية ودورها في حوار الدّعوة: قراءة تحليليّة مقاصديّة

تعتبر الرسائل التي أرسلها النّبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمراء والملوك وقادة الشّعوب والجماعات في عصره صفحة مهمّة من صفحات السيرة النّبويّة، وذلك أنّ هذه الرسائل تكشف عن وجه من وجوه التطبيق العملي لعالميّة دعوة الإسلام باعتبارها خاتمة الشرائع السّماويّة والهداية الإلهيّة

٣٧- سورة الكهف، الآية: ٢٩.

٣٨- سورة يونس، الآية: ٩٩.

٣٩- سورة الغاشية، الآية: ٢٢.

٤٠- سورة الشّورى، الآية: ٤٥.

٤١- انظر: صالح ابن حميد، **تلبيس مردود في قضايا حيّة** (مكة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤١٢هـ) ص٣٠.

إلى النّاس كافّة[٤٢].

وهي تعدّ من أهمّ الوسائل الدّعويّة، وسبب من أسباب التوصيل الجيّد للدّعوة حيث تدخل في نفس المدعو بهدوء ودون قيد، وقد استعمل النّبيّ ﷺ هذه الوسيلة استعمالا واسعا[٤٣]؛ وهو ما ينفي بقوّة فكرة انتشار الإسلام بالقوّة والإكراه، كما يتصوّر بعض المستشرقين. ومن أبرز هذه الرسائل نذكر:

أولاً: كتابه إلى (هرقل) مع دحية الكلبي، وفيه: "بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى (هرقل) عظيم الرّوم، سلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك أجرك مرّتين. فإن تولّيت، فإنّ عليك إثم اليريسيين، و﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[٤٤]"[٤٥].

ثانياً: كتابه إلى كسرى أبويز: "بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله إلى النّاس كافّة لينذر من كان حيًّا، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس"[٤٦].

٤٢- جاد ناصر محمّدي محمد، **التّعامل مع غير المسلمين في العهد النّبوي**؛ تقديم: محمد السَّيِّد الجليَند (دار الميمان؛ ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م) ص ١٩٥.

٤٣- انظر: غلوش أحمد، **الدّعوة الإسلاميّة ووسائلها في عصر النّبيّ عليه السّلام** (القاهرة: دار الجيل للطّباعة، ١٩٧١م) ص ١٣٧ – ١٣٨.

٤٤- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٤٥- البخاري، **الصحيح**؛ كتاب بدء الوحي، رقم الحديث: ٧، ص١٠.

٤٦- ابن جرير الطّبري، **تاريخ الطّبري**؛ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار سويدان) د.ط، د.ت؛ ٢/ ٦٥٤ – ٦٥٥.

ثالثاً: كتابه إلى النّجاشي ملك الحبشة: "بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمد رسول الله إلى النّجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدّوس السّلام المؤمن المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطّيّبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده؛ وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتّبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإنّي رسول الله، وإنّي أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ. وقد بلّغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسّلام على من اتّبع الهدى"(٤٧).

رابعاً: كتابه إلى المقوقس عظيم القبط: بسم الله الرحمن الرّحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى (المقوقس) عظيم القبط، سلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّ عليك إثم أهل القبط، ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾(٤٨).

إنّ ما يمكن أن نستشفّه من هذه الرسائل ما يلي:

١- تؤكّد هذه الرسائل على حقيقة معلومة ذكرناها في بداية البحث، وهي أنّ الإسلام دين عالميّ؛ لذا من واجب الرسول ﷺ إبلاغ الدّعوة إلى كلّ من يعرف من النّاس وبكلّ الوسائل المتاحة في ذلك الزّمان.

٢- يشير المنهج النّبويّ في دعوة الزّعماء والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل

٤٧- الزّيلعي، **نصب الرّاية في أحاديث الهداية** بحاشية **بغية الألمعي في تخريج الزّيلعي** (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٣هـ) ج٤، ص٤٢١.

٤٨- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

الدّعوة، فإلى جانب دعوة الأمراء والشّعوب اختار الرسول ﷺ أسلوبا جديدا من أساليب الدّعوة وهو مراسلة الملوك ورؤساء القبائل. وكان لأسلوب إرسال الرّسائل إلى الملوك والأمراء أثر بارز في دخول بعضهم الإسلام، وإظهار الودّ من البعض الآخر؛ كما كشفت هذه الرّسائل مواقف بعض الملوك والأمراء من الدّعوة الإسلاميّة ودولتها في المدينة؛ وبذلك حقّقت هذه الرّسائل نتائج كثيرة، واستطاعت الدّولة الإسلاميّة من خلال ردود الفعل المختلفة تجاه الرّسائل أن تنتهج نهجا سياسيًّا، وعسكريّا واضحا ومتميّزا[٤٩].

٣- مبادأة أهل الكتاب بالدّعوة الصّريحة المباشرة إلى الدّخول في دين الإسلام دعوة لا لبس فيها ولا غموض، ناجزة غير مؤجّلة، خالصة غير مشوبة.

٤- في رسائل رسول الله ﷺ للملوك فوارق دقيقة مؤسَّسةٌ على حكمة الدّعوة، روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، والخلفيات التي يمتازون بها. فلمّا كان هرقل والمقوقس يدينان بألوهيّة المسيح كليًّا أو جزئيًّا وكونه ابن الله جاءت في الكتابَيْن اللَّذين وُجِّها إليهما كلمة (عبد الله) مع اسم النّبيّ ﷺ صاحب هاتين الرّسالتين، فيبتدئ الكتابان بعد التّسمية بقوله: "من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم" وبقوله: "من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القِبْط" بخلاف ما جاء في كتابه ﷺ إلى كسرى أبرويز، فاكتفى بقوله "من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس" وجاءت كذلك آية: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا**

٤٩- انظر: محمد العقيلي، **السَّفارات النّبويّة** (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ص١٥.

مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ في هذين الكتابين، وما جاءت في كتابه إلى كسرى أبرويز؛ لأنّ الآية تخاطب أهل الكتاب، الذين دانوا بألوهيّة المسيح، واتّخذوا أحبارهم، ورهبانهم أربابا من دون الله، والمسيح ابن مريم. وقد كان هرقل إمبراطور الدّولة البيزنطيّة، والمقوقس حاكم مصر قائدين سياسيّين، وزعيمين دينيّين كبيرين للعالم المسيحي، مع اختلاف يسير في الاعتقاد في المسيح: "هل له طبيعة أم طبيعتان؟"(٥٠).

ولمّا كان كسرى أبرويز وقومه يعبدون الشّمس والنّار، ويدينون بوجود إلهين: أحدهما يمثّل الخير، وهو: يزدان، والثّاني يمثّل الشرّ وهو: إهرمن، وكانوا بعيدين عن مفهوم النّبوّة والتّصوّر الصّحيح للرّسالة السّماويّة جاءت في الكتاب الذي وجّه إلى الإمبراطور الإيراني عبارة: "وأنّي رسول الله إلى النّاس كافّة لينذر من كان حيًّا"(٥١).

لقد أظهر الرسول ﷺ في سياسته الخارجيّة دراية سياسيّة فاقت التّصوّر، وأصبحت مثالا لمن جاء بعده من الخلفاء؛ كما أظهر ﷺ قوّة وشجاعة فائقتين، فلو كان غير رسول الله ﷺ لخشي عاقبة ذلك الأمر، لا سيّما وأنّ بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوياء على تخوم بلاده كهرقل وكسرى والمقوقس؛ ولكنّ حرص رسول الله ﷺ وعزيمته على إبلاغ دعوة الله وإيمانه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى؛ كلّ ذلك دفعه لأن يُقْدِم على ما أقدم عليه. وقد حقّقت هذه السّياسة النّتائج الآتية:

أ- وطّد الرسول ﷺ بهذه السّياسة أسلوبا جديدا في التّعامل الدّولي لم تكن تعرفه البشريّة

٥٠- انظر: أبو الحسن علي النّدوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟** (دار المعارف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ط٧، ص٣٨ - ٣٩.

٥١- انظر: أبو الحسن علي النّدوي، **السّيرة النّبويّة** (دار الشّروق، ١٤٠٩/ ١٤١٠هـ -١٩٨٩م) ط ٨، ص٢٩٠.

من قبل.

ب- أصبحت الدّولة الإسلاميّة لها مكانتها وقوّتها، وفرضت وجودها على الخريطة الدّوليّة لذلك الزّمان.

ج- كشفت للرّسول ﷺ نوايا الملوك، والأمراء، وسياستهم نحوه، وحكمهم على دعوته.

د- كانت مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبيرا عمليًّا على عالميّة الدّعوة الإسلاميّة، تلك العالميّة التي أوضحتها آيات نزلت في العهد المكّي، مثل قوله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.

وهكذا، فإنّ رسائل النّبيّ ﷺ إلى أمراء العرب والملوك المجاورين لبلاده تُعَدُّ نقطة تحوّل في سياسة دولة الرسول الخارجيّة، فعظم شأنها وأصبحت لها مكانة دينيّة وسياسيّة بين الدّول، وذلك قبل فتح مكّة؛ كما أنّ هذه السّياسة مهّدت لتوحيد الرسول ﷺ لسائر أنحاء بلاد العرب في عام الوفود[٥٢].

المبحث الثّاني: حوار الدّعوة والواقع المتجدّد

المطلب الأوّل: شبهات حول جدوى حوار الدّعوة اليوم

يرى البعض اليوم ضرورة الانقطاع عن الحوار الدّعوي مع الآخر، ومن أبرز حججهم لتأكيد هذا الرأي ما يلي[٥٣]:

٥٢- انظر: معطي علي، **التّاريخ السّياسيّ والعسكريّ لدولة المدينة في عهد الرّسول ﷺ: استراتيجيّة الرّسول السّياسيّة والعسكريّة** (بيروت: مؤسّسة المعارف ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ص ٣٥١.

٥٣- انظر: أحمد بن سيف الدّين تركستاني، **الحوار مع أصحاب الأديان: مشروعيته وشروطه وآدابه**؛ موقع حملة السكينة؛ كليّة الدّعوة والإعلام، جامعة الإمام؛ ص ١٠ - ١١.

١- الحوار قد يؤدّي إلى التّشويش والاضطراب، وذلك بما ينتج عنه من التّأثير الفكريّ غير المحمود؛ ففي حالة الحوار بين المسلمين والنّصارى مثلا: يخشى بعض المسلمين من أن يؤدّي الخطاب النصراني إلى إدخال بعض الشبهات والخلط الفكري في أذهانهم، فتضطرب بعض المفاهيم من جرّاء ذلك الخلط.

٢- الحوار قد يؤدّي إلى مزيد من التّعصّب والتّصلّب عند طرفي الحوار. ففي حالة حوار الأديان يكون الحوار عادة بين منطلقات ومفاهيم كليّة للوجود والألوهيّة والشّرائع؛ وهذه المفاهيم من القوّة والتجذّر بحيث لا يؤثّر فيها حوار؛ وتكون النّتيجة الحتميّة هي بقاء ما كان على ما كان أو على أشدّ ممّا كان عليه.

٣- الحوار يقود إلى الفتنة والصدام، وتقوم هذه الحجّة على قاعدة سدّ الذّرائع وإقامة الحواجز؛ ولكنّه قد يبالغ فيها حتّى تقيم الحواجز مع الآخرين وتبقى الحقيقة الإسلاميّة مغيّبة.

٤- الحوار يعطي الفرصة لتلميع الآراء الباطلة، ولا يخفى ما في هذا القول من تعميم لا يصحّ في كلّ حال، فإنّ الغالب أنّ الآراء الباطلة إنّما تكتسب بريقها إذا انفردت بالأجواء والأضواء بعيدا عن الاعتراض عليها والتصدّي لها بالحوار. إنّ الحوار يعطي الفرصة لتوهين الآراء الباطلة وخفض درجة توهّجها وبريقها، وذلك بما يكشفه من الحقّ المناقض لها ومن الباطل المنطوي فيها.

٥- الحوار قد يؤدّي إلى المساومة على المبادئ، والتّلاعب بها، ومزجها ببعضها الآخر للوصول إلى مواقف وسطى للتّراضي، أو القول بنسبيّة الحقيقة؛ وأنّ الحقائق والآراء مهما اختلفت وتضاربت فهي كلّها على صواب.

٦- الحوار قد يوقع أصحاب الحقّ في المزالق والإحراجات، وذلك إذا ما لم يؤدّوا دورهم

جيّدا؛ وبذلك ينتصر أصحاب الرّأي الباطل بسبب حسن إعدادهم لأنفسهم واستخدامهم الأفضل للمنطق؛ وفي ذلك ما فيه من تشكيك لأصحاب الحقّ في حقّهم.

٧- يعتبر الحوار مع الآخر غير ذي جدوى، لأنّ انعدام توازن القوى يفضي إلى وضع يملي فيه أحد الأطراف ما يريد، بدليل أنّ الغرب هو الذي يضع أجندة الحوار ويحدّد قضاياه التي تستهدف صياغة المجتمعات الإسلاميّة على النّحو الذي يخدم مصالحه.

ولقد دعا بعض دعاة الحوار والتّقريب إلى إبطال وإيقاف حوار الدّعوة:

يقول يوسف الحسن: "إنّ الحوار الذي نفهم ليس دعوة مبطنة؛ فمن التزم الحوار وقبله نهجا، يكفّ عن الدّعوة والتّبشير في الوقت الذي فيه يحاور. فالحوار الذي نقصد، له مصالح أخرى مشتركة، لا يدخل التّبشير أو الدّعوة ضمنها"(٥٤).

ويقول حسن إسماعيل عبيد: "إنّ الحوار يرفض مبدأ أيّ توجيه إحلالي يسعى إلى نسخ الدّيانات القائمة، وتمثّلها، واستيعابها في دين ما بحسبان أنّه الأقوم أو الأفضل أو الأحسن. إنّ الحوار يدعو إلى التّعايش السّلمي كعمليّة ممكنة في ظلّ معطيات واقع الأديان القائمة باختلاف منطلقاتها العقائديّة ورؤيتها للكون والإنسان وللحياة"(٥٥).

وأعلن صبحي الصّالح في محاضرة بعنوان "المسيحيّة والإسلام في لبنان: أضواء وتأمّلات" عام ١٩٦٥م: "إنّا لا نطمع – في الشّرق العربي- بزيادة عدديّة تنشأ عن النّشاط في

٥٤- يوسف الحسن ، **الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتّحديات** (أبو ظبي : المجمع الثّقافي، ١٩٩٧م) ص ١٢.

٥٥- **سوسيولوجيا الأديان**، بحث مقدّم لمؤتمر الحوار بين الأديان في الخرطوم عام ١٩٩٤ م؛ ص ١٠ نقلا عن: القاضي، (أحمد)، **دعوة التّقريب بين الأديان: دراسة نقديّة في ضوء العقيدة الإسلاميّة**؛ دار ابن الجوزي؛ د.ط، د.ت؛ ج١، ص٧٤٩.

الدّعوة إلى اعتناق الإسلام، بل الذي نصبو إليه في حوارنا ليكون مجديًا مفيدا أن يحترم بعضنا بعضا، وأن يفهم أحدنا الآخر، وأن يطّلع كلّ منّا على تعاليم أخيه، وأن نتناسى مآسي الماضي، وما افتعل فيه من ظروف سيّئة لتوهين روابطنا، وأن نبني تعاوننا على أساس كرامة الإنسان بوصفه إنسانا(٥٦).

المطلب الثّاني: الحوار الدّعوي ضرورة ملحّة اليوم

إنّ الحوار حتّى مع عدم تحقّق جميع شروطه وآدابه من قبل الطرف الآخر أفضل من الانقطاع عنه والانصراف إلى موقف الصدام، وكما يقول خالد بن عبد الله القاسم في كتابه **الحوار مع أهل الكتاب: أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة**: "أمّا الامتناع عن الحوار مع الظّالمين واتّخاذه منهجاً مطّردا، فهذا يخالف منهج النّبيّ ﷺ، فقد حاور عليه الصلاة والسلام اليهود في المدينة وكانوا يكتمون ما أنزل الله، ويلبسون الحقّ بالباطل. كما حاور نصارى نجران ودعاهم إلى المباهلة فرفضوا". وهكذا يتّضح حرص الإسلام على الحوار لكونه أداة من أدوات بيان الحقّ، وواجب المسلمين هو أن يأخذوا به سبيلاً للبيان، وأن يعملوا على تفعيل تلك الأداة إبلاغاً للدّين وتخفيفاً لحدّة الصّراع بين البشر، ما دام هناك سبيل لإبلاغ الدّعوة وإيصالها بطريق الحوار وتبادل الأفكار والآراء.

وتبرز الحاجة الماسّة لتفعيل الحوار الدّعوي اليوم في النّقاط التّالية:

١- يعدّ "ضرورة شرعيّة لتبليغ الرّسالة، وحمل أمانة الدّعوة؛ فالأصل هو التّفاعل التّبليغي، وهدم جواز السّكون"(٥٧).

٥٦- مجموعة من المؤلفين، عهد (النّدوة اللّبنانيّة) خمسون سنة من المحاضرة (بيروت: دار النّهار، ١٩٩٧م) ط١ (٤٩٠) نقلا عن: القاضي، (أحمد)، م.ن؛ ج١، ص٧٥٠.

٥٧- شؤون الأوسط، عدد (٣٦) كانون الأوّل/ ديسمبر (١٩٩٤م) (٩١) نقلا عن: القاضي، (أحمد)، **دعوة التّقريب بين الأديان**؛ ج١، ص٨٢٦.

إنّ ممّا يؤكّد حاجة البشريّة اليوم إلى الدّعوة الإسلاميّة وجود ما يزيد عن أربعة آلاف إنسان لا يدينون بالإسلام، ومن هؤلاء ألوف مؤلّفة لم تبلغهم الدّعوة إطلاقا أو بلغتهم في صورة مشوّهة. وكلّ أولئك البشر يحتاجون إلى نور الله، وإلى ضيائه، وإلى عدله، ورحمته الواسعة، وفضله العميم لإنقاذهم من ظلمات الجهل إلى التّوحيد، ومن الخرافة إلى العلم، ومن الحيرة والقلق إلى شاطئ الأمان وبرد اليقين.

وكلّ ذلك يلقي بتبعاته على الدّعاة إلى الله في هذا العصر، وما ينبغي عليهم من جهد في أن يتابعوا تبليغ هذا الدّين، ويؤدّوا ما كلّفوا به من أمانة وما أخذه الله عليهم من عهد. فالعالم كلّه اليوم في أشدّ الحاجة إلى ما يبصّره بدين الإسلام، وإلى ما يعلّمه عقيدته، وأحكامه العادلة، وتعاليمه السّمحة، ومحاسنه التي لا تنحصر.

٢- إنّ انتشار الدّعوة إلى المبادئ الهدّامة، وإلى الإلحاد، وإنكار ربّ العباد، وإنكار الرّسالات، وإنكار الآخرة، وانتشار الدّعوة النّصرانيّة في الكثير من البلدان، وغير ذلك من الدّعوات المضلِّلة؛ نظرا إلى هذا فإنّ الدّعوة إلى الله عزّ وجلّ اليوم أصبحت فرضا عامًّا، وواجبا عامًّا على جميع العلماء وعلى جميع الحكّام الذين يدينون بالإسلام، فرضٌ عليهم أن يبلّغوا دين الله حسب الطّاقة، والإمكان بالكتابة وبالخطابة وبالإذاعة وبكلّ وسيلة استطاعوها، وألا يتقاعسوا عن ذلك أو يتّكلوا على زيد أو عمرو. فإنّ الحاجة بل الضّرورة ماسّة اليوم إلى التّعاون والاشتراك والتّكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر ممّا كان قبل ذلك؛ لأنّ أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكلّ وسيلة للصدّ عن سبيل الله، والتّشكيك في دينه، ودعوة النّاس إلى ما يخرجهم من دين الله عزّ وجلّ. فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النّشاط المضلّ، وهذا النّشاط الملحد بنشاط إسلاميّ وبدعوة إسلاميّة على شتّى المستويات وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة، وهذا

من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدّعوة إلى سبيله.

٣- هذا الصّنف من الحوار يسهم في تحسين صورة الإسلام في نظر الغربيّين، يقول يوسف الحسن: "هناك حاجة ماسّة لوضع أسس صحيحة من أجل حوار حقيقي، لأنّ الإسلام في المرحلة الرّاهنة هو موضع حملة ضارية في الغرب، دأبت على خلط الأوراق بين الإرهاب من ناحية، والإيمان والدّين من ناحية أخرى. وبالتّالي فإنّ الحوار يجب أن يكون متوازيا، بمعنى أن يساهم الغرب نفسه في إعطاء مساحة من المكان والزّمان لعرض الوجه الحقيقي للإسلام"(٥٨). والملاحظ المتابع لأحداث التّاريخ الإسلامي في القرون المتأخرة –الحادي عشر الهجري وما بعده – يرى بوضوح خفوت دعوة الآخرين إلى الدّين الإسلامي وتبيين محاسنه لهم، بل حصلت هوّة ضخمة بين المسلمين وغيرهم، فلم يعد الآخرون يعرفون عن دين الإسلام إلا أقلّ القليل؛ وهذا الذي وصل إليهم غالبه مغلوط أو مشوّه(٥٩).

يقول موريس بوكاي(٦٠): "إنّ المعطيات الخاصّة بالإسلام مجهولة عموما في بلادنا الغربيّة، ولا يدهشنا ذلك إذا تذكّرنا الطريقة التي اتّبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلّق بالقضايا الدّينيّة لدى الإنسان، وكيف فرض عليهم الجهل في كلّ ما يمسّ بالإسلام".

ويقول أيضا: "إنّ كثيرا من النّصارى الذين تربّوا في ظلّ روح عدائيّة صريحة

٥٨- يوسف الحسن، **الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتّحديات**؛ ص ٢٣.

٥٩- محمد موسى الشريف، **التّقارب والتّعايش مع غير المسلمين** (جدّة: دار الأندلس الخضراء ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ص٣١-٣٢.

٦٠- موريس بوكاي، **التّوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث**؛ ص٦ و٨.

للمسلمين هم مبدئيّا أعداء لكلّ تأمّل في الإسلام بسبب انطباعاتهم المبنيّة على مفاهيم مغلوطة صدرت ضدّ الإسلام، ولذلك فإنّهم يظلّون في جهالة لحقيقة الإسلام".

ويطرح راغب السّرجاني سؤالا ملحّا وهو: "ماذا يحدث إن قصّر المسلمون عن حمل رسالتهم، وتوضيح شريعتهم، وشرح أخلاق نبيّهم ﷺ؟". ويجيب عن ذلك بقوله: "إنّ هذا التّقصير يفتح الباب لقادة الأفكار المنحرفة، ولأئمّة الضّلال والغواية أن يشرحوا الإسلام من وجهة نظرهم، وأن يُلبِّسوا على النّاس دينَهم. إنّ النّاس تحتاج إلى قائد ودليل، فماذا يحدث إن تكاسل المؤمنون عن دورهم في تعريف النّاس بديننا وبرسولنا ﷺ وبأخلاقنا وقِيمنا؟ ... إنّنا نحتاج إلى إبراز مواطن العظمة والكمال في ديننا، وفي حياة نبيّنا ﷺ؛ نحتاج أن نتحدّث عن أنفسنا بأنفسنا، وأن نكتب عن أخلاقنا بأقلامنا، وأن نتحدّث عن رسولنا ﷺ بألسنتنا"[٦١].

المطلب الثّالث: تطوير منهج حوار الدّعوة: الدّواعي والأهميّة[٦٢]

إنّ الإسلام لم يجعل وسائل الدّعوة أمرا محدّدا لا يمكن تجاوزه، بل جاء بالإطار العامّ لمنهج الدّعوة ووسائلها بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[٦٣]. لذلك يجب أن يكون الخطاب الدّيني لتوصيل الحقائق عن الإسلام مواكبا لما يدور في العالم من متغيّرات، لأنّه ليس في مقدور أيّ مجتمع من المجتمعات أن يعيش بعيدا أو ينعزل عن المتغيّرات العالميّة؛ لذلك لا بدّ من تطوير آليات وأساليب الأداء لتوصيل

٦١- راغب السّرجاني، **فنّ التّعامل النّبوي مع غير المسلمين** (دار الكتب المصريّة، دار أقلام، فهرسة أثناء النّشر إعداد إدارة الشّؤون الفنّيّة، ٢٠١٠م) ص١٣-١٤(المقدّمة).

٦٢- انظر: عبد الرّحيم محمد المغذوي، **الأسس العلميّة لمنهج الدّعوة الإسلاميّة**؛ ص٤٠١ – ٤٠٣.

٦٣- سورة النّحل، الآية: ١٢٥.

حقائق الإسلام لمن في ذهنه لبس، أو من يجهل حقائق الإسلام، ولمواجهة دائمة وعاجلة لما يوجّه للإسلام من نقد، وإبراز الجوانب الإنسانيّة في الإسلام، وضرورة مخاطبة الآخر بأسلوب يبرز التّسامح والرقيّ الحضاري والأخلاقي في الإسلام، وتعلية قيمة التّسامح والتّعايش بالمساواة مع الآخر؛ وهو ممّا يبرز حقيقة روح التّسامح في الإسلام، ويبرز الإسلام على حقيقته.

إنّ خدمة الإسلام تكون بالتّجديد في الأداء بما لا يمسّ المسلّمات ويستدعي التّحديث في آليات وأساليب الوصول إلى الآخر. "والفكر الإسلامي ليس بمعزل عن ذلك وخصوصا أنّه فكر ناضج متجدّد يتفاعل مع الظواهر والقضايا والأحداث ويؤثّر فيها لما يتمتّع به من مرجعيّة إسلاميّة تقوم على أصول الإسلام وقواعده، وفي نفس الوقت يتّسم بالمرونة ويتعاطى مع كلّ الأدوات العصريّة"(٦٤).

وهناك أسباب عديدة تؤدّي إلى تطوير منهج الدّعوة؛ منها ما هو متّصل بالماضي، ومنها ما هو متّصل بالحاضر، ومنها ما هو متّصل بالمستقبل، ومنها ما هو متّصل بطبيعة المنهج وآليته. وأهمّ هذه الأسباب والدّواعي ما يلي(٦٥):

أوّلا: ضعف عمليات وآليات منهج الدّعوة، وقصورها، وعدم فاعليتها في مخاطبة النّاس، ونشر الإسلام بين المجتمعات بصورة مرضيّة وكافية.

ثانيا: ضعف وسائل الدّعوة المعاصرة، وعدم مواكبتها لتطوّر المجتمعات، وسرعة انتشار المعلومات، وتدفّق الثّقافات بين الأمم.

ثالثا: جمود بعض الدّعاة على بعض وسائل وطرق دعويّة قديمة، وقوالب عفى عليها

٦٤- إبراهيم، **دور الإعلام في التّضامن الإسلامي** (الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، الطّبعة: السّنة السّادسة عشرة، العدد الواحد والسّتّون، محرّم – صفر؛ ربيع الأوّل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م؛ ج١، ص٢٨٧.

٦٥- انظر: عبد الرّحيم محمد المغذوي، **الأسس العلميّة لمنهج الدّعوة الإسلاميّة**، ص ٤٠١ - ٤٠٣

الزّمن؛ ممّا أحدث حالة من الانفصام بين الدّعاة والنّاس، وقلّ أثرهم في المجتمع.

رابعا: حالات التخبّط التي تعيشها بعض الجماعات، والتيارات، والأحزاب المنتسبة للدّعوة في العصر الحاضر، وعدم فهمها لحقيقة منهج الدّعوة القويم، وقيامها باستحداث مناهج دعويّة قاصرة تفتقر لمقوّمات المنهج الدّعوي الصّحيح. ومن هنا قلّ أثر تلك الجماعات والتيارات، بل وأصبحت تتصادم وتتناقض فيما بينها ممّا أعطى الانطباعات السيّئة لدى بعض النّاس عن حقيقة الدّعوة إلى الله وما تهدف إليه من خير في أيّ مجتمع.

خامسا: عدم ارتقاء بعض الدّعاة إلى ما يتطلّبه الواقع المعاصر من علم وفهم وثقافة ولغة وتقنية، وطرائق في التّفكير والنّظر والتأمّل، والحكمة في دعوة النّاس، وتقدير الظروف المحيطة بالمنهج الدّعوي من جميع النّواحي.

سادسا: التحدّيات الكبيرة التي تواجه منهج الدّعوة إلى الله على جميع الصّعد، وبخاصّة في الواقع المعاصر اليوم، وما يشهده من أحداث عديدة ألقت بظلالها على مسيرة منهج الدّعوة، وساهمت بشكل كبير في إعاقة انتشاره ومحاولات تشويهه برميه بصفات كريهة ليست منه في شيء كالتّطرّف والإرهاب والتزمّت والانغلاق والتخلّف والأحاديّة والفوقيّة وما إلى ذلك من صفات ونعوت.

سابعا: توظيف التّطوّر الهائل في التّقنية الإعلاميّة بشكل دقيق لقلب الحقائق، وترسيخ المقولات التي لا تعدّ ولا تحصى، والتي تهدف جميعها إلى تشويه كلّ الحقائق بدءا بالقضايا الفكريّة العقديّة، وانتهاء بترسيخ كافّة الجوانب النّفسيّة، والأخلاقيّة السلبيّة لدى شعوب العالم، وخاصّة في المنطقة العربيّة كونها هي المعنيّة أوّلا وأخيرا

بالصّراع مع اليهود والقوى المعادية للإسلام والطموحات الإسلاميّة الكبيرة[٦٦].

وندلّل على ذلك بذكر موقع من المواقع الكثيرة على الإنترنت، والتي لا يهدف أصحابها عادة إلى النّقاش أو الحوار الموضوعيّ، وإنّما جلّ ما يكون التّركيز عليه في مثل هذه الصّفحات هو التّأثير على القارئ بشتّى الوسائل لمنحه انطباعا سيّئا عن الإسلام والمسلمين، ويقول فيه صاحبه: "لماذا الإسلام بهذا التّعصب؟ ولماذا يضطهد المسلمون بقسوة هؤلاء الذين يتركون الإسلام؟؟ الجواب: هو أنّ الإسلام بعكس الأديان الأخرى لا يسمح بالحوار المفتوح، فالمسلمون غير مسموح لهم بمناقشة الإسلام، إنّهم فقط مطالبون بقبوله، وأيّما مسلم ساورته الشكوك بشأن دينه فإنّه يعتبر مرتدّا. المرتدّون عن الإسلام يضطهدون ليس بسبب الدّيانة التي تحوّلوا إليها، وإنّما بسبب الديانة التي تركوها؛ إنّهم يقدّمون أمام المحاكم الشرعيّة ويتّهمون بالارتداد عن الإسلام، لماذا يقوم الإسلام بخنق كلّ محاولة للمناظرة والحوار المفتوح؟ إنّ الإجابة الوحيدة المحتملة هي أنّهم لديهم أشياء يخفونها، ويخافون أنّه إن تمّ معرفتها فإنّ ذلك سيؤدّي إلى الانهيار التّام للنّظام الإسلامي"[٦٧].

ونظرا لكلّ تلك الدّواعي والأسباب يتضح أهميّة تجديد كثير من مستلزمات منهج الدّعوة، وتحديثه وتطوير آلياته ووسائله، وطرق مخاطبته، وأساليب معالجته لقضايا العصر، وكيفيّة تعامله مع الأحداث والنّوازل المعاصرة، وما ينبغي أن يتوافر في الدّعاة من صفات ومقوّمات عديدة تؤهّلهم للوقوف أمام تحدّيات العصر بكلّ ثقة واقتدار.

المطلب الرّابع: أساليب الدّعوة الحديثة ودورها في تفعيل حوار الدّعوة

لّما كانت مهمّة الدّعوة إلى الله تعالى مطلقة وغير مُقيّدة بزمانٍ أو مكان، فإنّ هذا يعني

٦٦- حسن الباش ، **صدام الحضارات: حتميّة قدريّة أم لوثة بشريّة...؟** (دار قتيبة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) ط ٢، ص٢١٩.

٦٧- مجلّة **المجتمع**، العدد ٩، ١٣، ص ٢٦ نقلا عن: العصيمي (تركي بن أحمد) **كيف نخدم الإسلام من خلال الإنترنت؟** (دار المعارج، ١٤٢١هـ) ص ٣٨- ٣٩.

ضرورة أن تنطلق الدّعوة بموجب مُتطلّبات العصر؛ والتّركيز هنا ينصب على الوسائل التي تُستخدم للتّبليغ. والوسائل تتجدّد وتتطوّر وتتغيّر بحسب التّطوّرات العلميّة والتقنيّة التي تنطلق بسرعةٍ عجيبةٍ تستلزم المتابعة الدقيقة إذا ما أُريد للدّعوة أن تؤثّر في النّاس، وتتماشى مع مستوياتهم التفكيريّة التي تُمليها عليهم ظروفهم التكوينيّة في التّنشئة والتّربية والتّعليم.

يقول عبد العزيز بن باز: "في وقتنا الحاضر يسَّر الله عزّ وجلّ أمر الدّعوة أكثر بطرق لم تحصل لمن قبلنا، فأمور الدّعوة اليوم متيسّرة، وذلك بواسطة طرق كثيرة؛ وإقامة الحجّة على النّاس اليوم ممكنة بطرق متنوّعة، مثلا عن طريق الإذاعة، وعن طريق التّلفزة، وعن طريق الصّحافة، وهناك طرق شتّى"(٦٨).

والدّاعية النّاجح لا يترك وسيلة لعرض دعوته وكسب الأنصار لها إلا استعملها، وهو يستفيد من كلّ ما أتيح له من وسائل حديثة، ومن مستجدّات العصر في الدّعوة إلى الله؛ فهو يدعو عبر القنوات الفضائيّة، وعن طريق شبكة المعلومات الدوليّة (الإنترنت)، وكل ما يُستجدّ من وسائل وتقنيات حديثة؛ ولا يحصر نفسه في دائرة ضيّقة من الوسائل، مع الحفاظ على ثوابت الدّعوة وأصولها. والدّاعية النّاجح يأخذ بالتّنوّع في وسائله الدعويّة، وبما يتناسب مع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال(٦٩).

٦٨- عبد العزيز بن باز، **مجموع فتاوى ومقالات متنوّعة** (التوحيد وما يلحق به)؛ جمع وترتيب وإشراف: محمد بن سعد الشويعر؛ طبع على نفقة بعض المحسنين تحت إشراف (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلميّة والإفتاء، ١٤٢١هـ) ط٢، ج٨، ص٤٠٣.

٦٩- **الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية**، بحث مقدم لمؤتمر كلية أصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر المنعقد في الفترة: ٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ١٦- ١٧ أبريل ٢٠٠٥م، ص ٤٢٠ نقلا عن: سكر، ماجد رجب العبد، **التواصل الاجتماعي: أنواعه، ضوابطه، آثاره، ومعوّقاته (دراسة قرآنيّة موضوعيّة)**؛ إشراف: جمال محمود محمد الهوبي؛ الجامعة الإسلاميّة – غزّة، عمادة الدّراسات العليا، كليّة أصول الدّين، قسم التّفسير

والواجب يحتّم علينا نحن المسلمين أن نستفيد من هذه الثّورة الإعلاميّة، والاتّصاليّة قبل غيرنا من بني البشر باعتبار عالميّة رسالة الإسلام التي نحملها؛ ويجب علينا إبلاغها لكلّ من يحيا على هذه الأرض، ولقد فتحت الشّبكة الدوليّة الجبّارة آفاقا جديدة للدّعوة الإسلاميّة والعمل الإسلامي، واستغلالها في الدّعوة أصبح ضرورة ملحّة، إلى جانب كلّ ما وصل إليه العلم من وسائل إعلاميّة(٧٠).

ويسمّي يوسف القرضاوي الدّعوة إلى الله تعالى عبر الشّبكة الدوليّة "جهاد العصر" ويصفها بأنّها الشّبكة الجبّارة التي تستطيع أن تدخل على النّاس في كلّ مكان في العالم دون استئذان من أحد، ودون حاجة إلى جيوش وقتال، وهذه نعمة من الله علينا تستحقّ أن نشكره عليها.

ويرى أن وسائل الاتّصال الحديثة، ولا سيما الشّبكة الدوليّة قد فتحت الأبواب لإبلاغ كلمة الله إلى النّاس، وهو الأمر الذي لم يكن ليتيسّر في الماضي حينما كان المسلمون في القرون الأولى إذا أرادوا أن يبلّغوا دعوة الإسلام إلى الشّعوب وجدوا الطّريق أمامهم مسدودا؛ فقد كان الأكاسرة، والقياصرة، والملوك المستبدّون لا يسمحون لأحد أن يدعو شعوبهم إلى غير ما يريدون هم أن يلقّنوهم(٧١).

ويقول محمد بن عدنان السمّان، المدير التنفيذي لموقع شبكة السنّة النبويّة وعلومها: "لقد هيّأ الله سبحانه وتعالى في هذه العصور من الوسائل والتّقنيات ما يعين على تبليغ الدّين ونشره،

وعلوم القرآن؛ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م؛ ص ١٠٤.

٧٠- **الدّعوة الإسلاميّة عبر الإنترنت**، مقالة أحمد محمود أبو زيد، http://www.alukah.net/culture/2/2066/.

٧١- **التّقرير السّنوي لموقع إسلام أون لاين** للفترة (أكتوبر ١٩٩٩م – ديسمبر ٢٠٠٠م)، ص ٣. نقلا عن: عابد، إبراهيم بن عبد الرحيم، **وسائل الدّعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدّوليّة (الإنترنت) وكيفيّة استخداماتها الدّعويّة**؛ كليّة المعلّمين، جامعة الطّائف؛ تاريخ النّشرة الأولى على الشّبكة: صفر ١٤٢٩هـ؛ ص ٢٩.

والتّعريف بالعقيدة الإسلامية الصّحيحة وسنّة النّبيّ صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة. ولم يعد التّعامل مع هذه التّقنيات ترفا؛ بل أصبح واقعا معايشا لأكثر سكّان المعمورة، فبها يتواصلون وعن طريقها يتناقلون المعلومات والأخبار، وفي أسرع وقت وأيسر طريق وفق أحدث التّقنيات تطوّرا... ولقد كان لنخبة من طلبة العلم والدّعاة حضورهم المميّز في مواقع ومنتديات إلكترونيّة من خلال الإشراف، والمشاركة المتميّزة، والتنوع الذي أضفى على الشبكة العالميّة (الإنترنت) نسبة لا بأس بها من الخدمات التي تقدّم للمسلمين وغيرهم وتصبّ في خدمة الدّعوة إلى الله بلغات العالم المتعدّدة"[٧٢].

ونظراً لما تمتاز به شبكة الإنترنت من انتشارٍ واسعٍ وقُدرةٍ على الوصول إلى الملايين في كلّ مكان على سطح الأرض، فإنّ الحاجة ماسّة للإفادة منها في الدّعوة إلى الله تعالى على اعتبار أنّها وسيلةٌ من الوسائل الحيّة في هذا العصر، وأنّها تحظى بقبولٍ جيّدٍ، وانتشارٍ كبيرٍ، وتفاعلٍ إيجابيٍّ من الملايين الذين يُقبلون عليها في أرجاء العالم. وقد تنبّه أعداء الإسلام إلى أهميّة هذه الشّبكة (الإنترنت) في نشر شُبهاتهم، وبثّ أباطيلهم، فاستغلّوها استغلالا واضحا في غزوهم لنا فكريّا؛ لهذا فإنّ الواجب يُحتّم علينا أن نُضاعف اهتماماتنا بهذا الشّأن، وأن نحاول اللّحاق بالرّكب الحضاريّ الذي سُبقنا إليه في هذا المجال على الرّغم من أنّنا أحقّ النّاس به[٧٣].

إنّ "الإنترنت والتّواصل الإلكتروني وسيلتان من الممكن استخدامهما وتطويعهما في الخير، كما أنّه يمكن استخدامهما في الشرّ؛ وقد ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم استخدم كلّ وسيلة اتّصال ممكنة في وقته لغرض الدّعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى ونشره بين النّاس، فقد استخدم

٧٢- يوسف بن سليمان الهاجري، **الدّعوة والإعلام الجديد**؛ نقلا عن: عابد إبراهيم بن عبد الرحيم، م.ن؛ ص ٣١.

٧٣- **استخدام الإنترنت في الدّعوة إلى الله ونشر الإسلام**، نقلا عن: لؤي عبد الحميد شنداخ، **أثر الإعلام في نشر الدّعوة الإسلاميّة**؛ شبكة الألوكة، د.ط، د.ت؛ ص ٢٦.

الاتّصال المباشر؛ فكان يقصد النّاس في مجتمعاتهم، وأسواقهم، ويكلّمهم، ويدعوهم إلى الإسلام زُرافات ووحدانًا، كما أرسل إلى الملوك، واستقبل الوفود ينشر بينهم الدّين الحقّ"[٧٤].

ولا شكّ أنّ المسلمين حتّى الآن لم ينجحوا في استغلال شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت دعويّا بالشكل المطلوب، فالإحصاءات تقول: إنّ المواقع التنصيريّة في الشبكة تزيد على المواقع الإسلاميّة بمعدل ١٢٠٠٪، ونصيب المسلمين من الإنترنت حتّى الآن مازال هزيلا ولا يرقى إلى المستوى المطلوب؛ وقد أشارت دراسة حديثة إلى أنّ المنظمات المسيحيّة هي صاحبة اليد العليا في الإنترنت حيث تحتل نسبة ٦٢٪ من المواقع، ويليها في الترتيب المنظمات اليهوديّة؛ بينما تساوى المسلمون مع الهندوس، حيث لم تزد حصّة كلّ منهم على ٩٪ فقط[٧٥].

وباختصار، إذا أردنا لحوار الدّعوة اليوم أن ينجح ويؤتي أكله الطّيّب فلا بد من مسايرة مجريات العصر وتحويلها لصالحين؛ فلا يمكن أن يغفل الدّاعية اليوم مواقع التّواصل الاجتماعي كالفيسبوك واليوتيوب والفايبر والمسنجر، لأنّها وسائل مستخدمة ومتاحة للجميع من جهة، ومؤثّرة من جهة أخرى؛ وإغفال ذلك يعني إغفال أحد السّبل المؤدّية لنجاح الدّعوة الإسلاميّة وانتشارها.

خاتمة

إنّ الضرورة قاضية والحاجة داعية إلى الموازنة بين الأصالة والمعاصرة، واستحضار المقصد الأساسي من الحوار، وتطويع الوسيلة والآليّة المناسبة لتحقيقه.

ووسائل الحوار، كما تبيّنا، متجدّدة مع تجدّد الإنسان، وغير قاصرة على ما كان منها في زمن الرسول ﷺ؛ وإلا اتّسمت الدّعوة بالجمود، وأبطأت عن تحقيق هداية العالمين.

٧٤- ماجد رجب العبد سكر، **التّواصل الاجتماعي: أنواعه، ضوابطه، آثاره، ومعوّقاته (دراسة قرآنيّة موضوعيّة)**؛ ص٣٥.

٧٥- لؤي عبد الحميد شنداخ، **أثر الإعلام في نشر الدّعوة الإسلاميّة**؛ ص٢٧.

فلا بدّ إذن من قراءة مقاصديّة واعية توافق بين الغاية الدّعوية والوسيلة المكتسبة لتحقيقها من جهة ومواكبة تطورات الوقائع ووسائله المستحدثة القادرة على التّأثير في مسار الدّعوة من جهة أخرى؛ وبهذه الطريقة وحدها يستطيع أن يمضي الدّاعية قدما في تحقيق ما أنيط به من واجب الدّعوة ونصح الآخرين.

References

1. Abdul Wahab, ʿ**ālamīaẗ al-islām wa rsāʾil al-nabī ila al-mulūk wa al-ʾaumarāʾ** (damishq: dār al-qalam).
2. Syed Qutub, **fī ẓilāl al-qurʾān** (baīrūt: dār al-sharūq, 1979 AD).
3. Abdul Rahim, **al-ʾusas al-ʿilmīaẗ limanhaj al-daʿwaẗ al-islāmīaẗ: dirāsaẗ taʾaṣīlīaẗ ʿali ḍaūʾ al-wāqiʿ al-muʿāṣir** (dār al-ḥaḍārẗ, 2010 AD).
4. Hassan Muhamad Amin, ʿ**ālamīaẗ al-daʿwaẗ al-islāmīaẗ** (dār al-ḥaḍārẗ,2010 AD).
5. Ahmad Ghalosh, **al-daʿwaẗ al-islāmīaẗ: ṣūluhā wa wasāʾiluhā** (ālqāhiraẗ: dār al-kitāb al-miṣrī,1987 AD).
6. Fazlullah, **al-ḥiwār fī al-qurʾān** (baīrūt: al-hīʾiaẗ al-jāmiʿīaẗ lildirāsāt,1985 AD).
7. Abu abdullah al-Qurṭubī, **Al- Jāmiʿ liʾaḥkām al- Qurʾān** (dār al-Kutub al- Miṣriyyah, 1964 AD).
8. Jaidal Ammar, **ḥiwār al-ḥaḍārāt wa mūʾhilāat al-islām fī al-taʾasīs liltawāṣul al-insānī** (ālʾurdan: dār al-ḥāmid, 2003 AD).
9. Manqaz bin Mahmmod, **al-ḥiwār maʿa ātbāʿ al-ʾādīān, mashrūʿīatuh wa adābuh** (makaẗ: rābiṭaẗ al-ʿālam al-islāamī,1997 AD).
10. Ahmad Bin Abdul Haleem Ibn Taimiat **majmūʿ al-fatāwā** (Saudi Arabia: majmaʿ al-malik fahad, 1995 AD).

11. Muhammad Abu Zahra, **al-daʿwaẗ ila islam**, (ālqāhiraẗ: dār al-fikr, 1991 AD).
12. Arnold, **al-daʿwaẗ ila islam** (maktabaẗ al-ʾanjlū al-miṣrīaẗ; 1957 AD).
13. Abu Khalil Shufi, **al-islām fī qafṣ al-āitihām** (damishq: dār al-fikr, 1977 AD).
14. Samuel Phillips Huntington, **ṣadām al-ḥaḍārāt** (ālqāhiraẗ: sharkaẗ saṭūr, 1998 AD).
15. Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, **ṣaḥīḥ al-bukẖārī**, (damishq: dār ibn kaṯhīr, 1987 AD).
16. muslim bin al-ḥajāj al-qashīrī, **ṣaḥīiḥ muslim** (ālqāhiraẗ: dār īḥīāʾu al-kutub al-ʿarabīaẗ, 1374 AH)
17. Ahmed bin Ali bin Hajar Abu al-Fadl al-Asqalani, **fatḥ al-bārī** (Beirut: dār al-maʿrifaẗ, 1379 AH)
18. Ismāʿīl ʾbn Kathīr, **Tafsīr ul Qurʾān al ʿaẓīm**, (dār ul kutub al ʿilmiyyah, 1419 AH).
19. Ahmed bin Abd al-Rahman bin Qudamah al-Maqdisi, **al-mughnī** (Cairo: maktabaẗ Cairo, 1968 AD).
20. Ibn Hameed Salih, **talbīs mardūd fī qaḍāīā ḥaīaẗ** (makaẗ al-mukaramaẗ: maktabaẗ al-manāraẗ, 1412h.).
21. Jad Nasir, **al-taʿāmul maʿ ghaīr al-muslimīn fī al-ʿahd al-nabawī** (dār al-maīmān; 2009 AD).
22. Al-Zailaye, **naṣb al-rāīaẗ fī aḥādīṯ al-hidāīaẗ** (damishq: al-maktab al-islāmī, 1393 AH).
23. Muhammad al-uqaili, **al-safārāt al-nabwīaẗ** (baīrūt: dār iḥīāʾ al-ʿulūm, - 1986 AD).

24. Abu al-hassan al-nadwi, **māḏā kẖasir al-ʿālam biānḥiṭāṭ al-muslimīn**? (dār al-maʿārif, 1408 AH).
25. Abu al-hassan al-nadwi, **al-sīraẗ al-nabawīaẗ** (baīrūt: dār al-sharūq, . – 1988 AD).
26. Muati Ali, **al-tārīkẖ al-sīāsī wa al-ʿaskraī lidaūlaẗ al-madīnaẗ** (baīrūt: mūʾsasaẗ al-maʿārif, 1998 AD).
27. Yousaf Al-Hasan, **al-ḥiwār al-islāmī al-masīḥī: al-furaṣ wa al-taḥadīāt** (ʾabū ẓabī : al-majmaʿ al-ṯhaqāfī, 1997m).
28. Hasan Al-bash, **ṣadām al-ḥaḍārāt: ḥatmīaẗ qadarīaẗ am laūṯhaẗ basharīaẗ...?** (dār qutīabaẗ, 2005 AD).
29. Muhammad Mousa, **al-taqārub wa al-taʿāīush maʿa ghaīr al-muslimīn** (jadaẗ: dār al-ʾaundalus al-ẖaḍrāʾ 1424 AH).